

القسم الثاني

فرنسا ومستعمراتها

بقلم أحمد رمزي

أثر بريطانيا في سياسة فرنسا :

وكانت هناك دواعي غلي باستبقاء تلك الصداقة من الجانب البريطاني نفسه ، فقد ظهر جلياً بعد تقدم الطيران وموقف إيطاليا المادي أن أراضي الأمبراطورية الفرنسية ستكون في السلم والحرب المعر الطيبى للطائرات البريطانية إذا نحاشت البحر الأبيض المتوسط : لم يكن من السهل إهمال علاقات هذا الجوار وما تحليه المصالح المشتركة للبلدين وما يفرضه تماشى حقوق الارتفاق بين الأمبراطوريتين ، ولهذا لم تترك السياسة البريطانية هذه الناحية تسير طبقاً للأقدار بل مالت بقواتها وعبأت أساليبها المختلفة وعصدت الاتجاه المضاد للحركة الأولى ، وكان أن حكمت فرنسا حكومات بقيت حريصة على محافة بريطانيا ، وترتب على هذا أن دخلت فرنسا الحرب العالمية الثانية بجانب الأمبراطورية البريطانية .

ومن هنا نفهم حقيقة المرض الذى تقدم به تشرشل قبل تسليم يونيو ١٩٤٠ واقترح فيه إدماج الأمبراطوريتين في اتحاد واحد وهو المرض الذى توم فيه الكثيرون بأنه كان عرضاً خيالياً لا يستند إلى أساس .

الحرب العالمية الثانية ٣٩-١٩٤٥ والمستعمرات الفرنسية :

جاءت الحرب فمرت شهورها الأولى وتحملها الناس ، ثم امتدت وطلتها على فرنسا وظهرت عيوب الأنظمة الفرنسية وتفكك الأحزاب الحاكمة وخيانة رجال الصناعة وقواد الجيش ، وتوالت الهزائم واضطرت فرنسا للتسليم عقب قتال لم يدم طويلاً ، وكان أن طرأ حادث غريب في تاريخ العالم جاء نتيجة لإبرام عقد الهدنة بين فرنسا وألمانيا عام ١٩٤٠ ، وهو أن يحتل العدو بلاداً أوروبياً أو جزءاً منه بيجوشه وتبقى أراضي المستعمرات من غير احتلال ، وليس في ذلك من محب إذا كانت الهدنة لوقف القتال

فرنسا والحرب العالمية الثانية : بين الديمقراطية والفاشية

كانت فرنسا في وسط برامجها لتنفيذ هذه الطفرة الصناعية لكي تنموض ما فات منها حينما قامت الحرب العالمية الثانية ، جاءت هذه الحرب وهي منقسمة في الداخل ، فالروح الرجعية التي نفشت في عدة بلاد بأوروبا وأفريقيا وآسيا وأخذت في فرنسا مظهر العنف في مظاهرات الكونكوردي سنة ١٩٣٣ ، وهذه الروح لم تكن قد ماتت في سنة ١٩٣٩ بل كانت تمثل مصالح وأغراض تلك الفئة التي أشرنا إليها من أساطين الصناعة الذين أخذوا على عاتقهم تنفيذ هذه البرامج . وكانت هذه الفئة تؤمن بضرورة مسالة برلين وروما^(١) ، لاحقاً فيهما أو رضوخاً لإرادتهما بل لأن الوطنية غلى بأنه يجب تحمل كل شئ في سبيل السلم حتى تستكمل فرنسا بناءها الصناعي ولو كان في ذلك الخروج من ميثاق عصبة الأمم أو إهمال الحلفات والضمانات القائمة .

مصادرة بريطانيا :

يقابل هذه الروح نيار الديمقراطية ممثلاً في روح الجماعات والأحزاب السياسية والبرلمان ، وكانت جميعاً لا ترغب في الاندفاع على طريق غير مأمون العاقبة : يفقد فرنسا مركزها الأدبي كدولة عظمى إذا خنت بالمواثيق والضمانات الأخوذة أو ضربت بالمحالفات والمعاهدات عرض الحائط ويفقدها صداقة حليفها بريطانيا ، تلك الصداقة التي بنيت عليها سياسة فرنسا منذ الاتفاق الودى

(١) يقول أندريه نيب إنها تعاونت مع المحور مدة الحرب وحملت بذلك على أرباح طائلة

La droite industrielle a Collaboré avec L'ennemi et a réalisé dans ses opérations de Coquets Bénéfices

الحرب أوجدت في أراضيها نوعاً من الحكم استفاد منه الفرنسيون للوقوف بين الفريقين المتحاربين، ولو أنه أدى في النهاية إلى خسارة أسطولهم واحتلال الألمان واليطاليان لتونس : إلا أن هذه الحالة لفتت أنظار الفرنسيين جميعاً للإمبراطورية وأثرها وأهميتها وما ينتظر منها وأنها قوة المستقبل ودرع الشعب الفرنسي وغير ذلك مما كانت تروده الصحف وتذيعه الأنباء المختلفة من محطات اللاسلكي .

انقسمت فرنسا إلى فريقين : حكومة فيشي وحركة الجنرال ديغول، وانفق كلاهما على أمر واحد هو الاحتفاظ بوحدة الإمبراطورية وعدم التفريط في أي جزء منها ، وترجع الأخطاء وأعمال الصنف التي ارتكبتها ممثلو فرنسا في القطرين الشقيقتين سوريا ولبنان إلى تمكن هذه الفكرة منهم تمكناً أعمهم عن تلمس الحقائق ومواجهة تطور العالم الجديد .

وأغرب من ذلك أن الحلفاء حينما وجهوا حملتهم إلى شمال أفريقيا قام الكتاب الفرنسيون بحملة قلمية في أنحاء العالم تقول : إن الإمبراطورية وشموبها قد قامت بأسرها اشد أزر الجنرال ديغول ، وأنها سارت تحت لوائه لإنقاذ أراضي الوطن المحتلة ؛ واتخذوا هذه الدعاية دليلاً على نفوذ فرنسا وقدرتها الاستثمارية ، بل من هنا أخذوا يتنادون بما صمموا عليه من إدخال سياسة الاتحاد الفرنسي وفرضها بقولهم إن المستعمرات قد حملت عبء القتال عن الوطن الأوروبي المحتل فهي إذن ساهمت في تحريره ومن حقها أن تندمج فيه وتكون وحدة معه وننقل هنا ما كتبه بول أميل فيار ، لأن مرة سلم الوطن الأم وبقيت فرنسا تحارب في مستعمراتها^(١) :

Pour La première fois en effet La Métropole est Occupée et La France se bat dans ses Colonies Powl Emile Viourd

لأننا لم نحتل ألمانيا الإمبراطورية الفرنسية :

إن السياسة التي أملت على ألمانيا ترك الإمبراطورية الفرنسية

ثم تعقبها مفاوضات الصلح وينتهي الأمر بإبرامه عقب فترة قصيرة من الزمن كما حدث سنة ١٨٧٠ . أما أن تعقد الهدنة ويتضح من شروطها استثناء الإمبراطورية الفرنسية وبقاء جيوش الجمهورية ممبأة للدفاع عنها ويستمر ذلك شهوراً ثم سنوات ما دامت الحرب قائمة ، فأمر جديد أثار الكثير من الشاغل كلما بعدت نهاية الحرب .

فهناك فريقان يتحاربان حرباً مميتة ، وهناك إمبراطورية لدولة قبلت التسليم ، فما هو حكم الأراضي التي سلمت أمي دار حرب وقتال أم هي على الحياد ؟ لا شك في أن القسم الفرنسي الذي يشغله العدو بجيوشه هو دار حرب .

فما هو موقف القسم غير المحتل وأهم جزء فيه تلك الإمبراطورية بأقاليمها الخمسة ؟

هزمت سنة ١٩٤٠ ومستعمرات فرنسا :

كنت في بيروت عند بداية الحرب وبعد عقد الهدنة ، ولقد شمرنا وشمر الناس جميعاً أن الحياد الذي أرادت فرنسا أن تظهر به غير موجود ولا يمكن التمسك به نظرياً أو عملياً فقد كانت الطائرات الإيطالية والألمانية تضرب فلسطين وكان بعضها يصاب ببنيران المدفعية فيضطر للهبوط في أراضي سوريا ولبنان فاتخذت السلطات الفرنسية معها في الحوادث الأولى الاجراءات التي ينص عليها باب الحياد في القانون الدولي ، وكان للألمان لجنة عليا في فيسبادن تشرف على أمور الهدنة وتفسير شروطها . ابلنت هذه اللجنة الحكومة الفرنسية رسمياً أن شروط الهدنة مع ألمانيا لا تجعل من فرنسا ومستعمراتها بلداً محايداً ، وما يسرى على المستعمرات يسرى على الأراضي المشمولة بالانتداب : وبناء على ذلك أفرجت السلطات العسكرية الفرنسية عن الطائرات والطارئين وصححت بالمرور والنزول في المطارات ، فكان من بريطانيا أن قدقها بالقنابل ووجهت حملتها لاحتلال أراضي سوريا ولبنان .

عازر سارة :

هذه الحالة الشاذة لأوضاع الإمبراطورية الفرنسية طول مدة

(١) راجع : Essai d'une Organisation Constitutionnelle de La Communauté Française

ألا نخرج لهم من هذا التمازض سوى سياسة الاتحاد التي تجمل من فرنسا والأمبراطورية كتلة واحدة في الخارج والداخل .

وكان من رأى الذين لموا هذا النزاع القائم أن المشاكل الإقليمية والحربية في سيرها وتطورها تواجه في النهاية مصالح الأمبراطورية البريطانية في أفريقيا وأكبر ضربة لهدم التحالف الفرنسي البريطاني تأتي من تشجيع فرنسا للأخذ بسياسة إمبراطوريتها في الأمور الخارجية وبناء نظريتهم على :

التناقضات القائمة بين إمبراطوريتين عالميتين :

فقالوا إن سياسة الوفاق والصداقة سهلة وتبدو ضرورية في أوروبا ولكنها صعبة وغير محتملة في أفريقية أو إذا سار التحالف بانسجام هنا فإنه لا يسير أشواطاً بعيدة في أفريقية من غير أن تبرز التناقضات : وهي الأمور التي تتطور إلى مشاكل أو أزمات فيحتصى حلها لأن مردها إما إلى السياسات العليا أو إلى القواعد الثابتة الملزمة لطبائع الأشياء : وعلى هذا الضوء تبدو حوادث سوريا ولبنان سنة ١٩٤٣ ، ومشاكل بريطانيا في طرابلس الغرب وبرقة ، في الوقت الحاضر وتعدر إيجاد حل لها .

أصل ألمانيا في استغلال التنافس بين الدولتين :

كان الألمان على إلام تام بالحالة النفسية والمسكرية في الجيش الفرنسي . وبما يمكن أن تؤديه الفرق المكونة من الجنود الأفريقية ، وهم على علم بطاقة هذه الثعوب ومقدار صلاحيتها للحروب الحديثة ، ولكنهم أبقوا مع ذلك على وحدة الأمبراطورية الفرنسية وتركوها بيد الفرنسيين لأنهم توهموا أن التنافس بين البريطانيين والفرنسيين قد ينقلب إلى عداوة ، وقد مرت حوادث كانت نتيجة التصادم والقتال ولكن الأمبراطورية الفرنسية لم تتحرك بل إن القتال الذي نشب في سوريا ولبنان انحصر هناك .

أما من الناحية الفرنسية فقد تمكن الأمل من القواديس لدرجة أنهم توهموا بأن لديهم القوة الكافية للدفاع عن الأمبراطورية إذا هوجمت وحشدوا وحداتهم البحرية في شمال

تحت إشراف فرنسا بمد تسليمها لا تزال غامضة بل هي إحدى المعيات التي سيتساءل عنها مؤرخو الحرب طويلاً . فقد تكون هناك عوامل عسكرية أو سياسية فرضت هذه السياسة ، ومن المحقق أن هناك مفاوضات وأشياء لا يزال العالم يحلمها تماماً .

فن قائل إن التسليم قد تم على يد رجال يؤمنون بعظمة فرنسا إذا تخلصت من أنظمتها الدستورية واتجهت اتجاهها فاشياً ، فن الطيبى تشجيع هذه الحركة وإعطاء هؤلاء الناس بعض التساهل بترك المستعمرات لهم ، ومن قائل إن الفرض الأساسى الذى رى إليه هتلر هو أن يجعل الأمبراطورية الفرنسية يوماً ما في صفه أمام الأمبراطورية البريطانية في أفريقية . وذلك لأن :

لفرنسا سياسة أوروبية وللمستعمرات سياسة إمبراطورية :

يقول أصحاب هذا رأى إنه إذا كان لفرنسا سياسة في القارة الأوروبية تعتمد على الأمن والضمان وهي تحتم التحالف مع بريطانيا وغيرها ، فإن للأمبراطورية بحكم موقعها الجغرافى ونفوذها وحاجاتها الاقتصادية سياستها الخاصة بها .

ويظهر ذلك جلياً في أن الفرنسي في القارة الأوروبية يعالج المشاكل بروح يختلف عن روح الفرنسي المقيم بالمستعمرات الذى يفكر بالأسلوب الأفريقى الاستثمارى وينظر إلى عظمة فرنسا في إمبراطوريتها نظرة بعيدة عن تطور السياسة الأوروبية وما تفرضه من محالفات وصداقات .

فإذا تركنا جانباً المستعمرات البعيدة مثل مدغشقر والهند الصينية ، تبدو الأمبراطورية الفرنسية أقول هؤلاء كوحدة جغرافية لها أهمية كبرى وهي في نظرم كائن حي له ما لفرنسا من مشاكل متعلقة بالأمن والحماية والجيش والبحرية .

وقد تنفق السياساتان وقد تختلفان في الشؤون الخارجية ، أما في الشؤون الداخلية فقد ظهر أثر الرجال الفرنسيين المقيمين بالمستعمرات في محاربة كل إصلاح يرمى إلى إشراك الوطنيين في الحكم ، بل فرضوا إرادتهم وأجبروا الحكومة المركزية على تغيير سياستها مراراً ولذلك توهم المختصون بشؤون الاستثمار

أن الاتحاد الفرنسي هو مشروع إنساني يدعو إلى رفع مستوى شعوب الأبراطورية ، وبعد تنفيذها تحقيقاً لما وعدوا به روزفلت في اجتماع الدار البيضاء ، أو مرحلة في طريق الرق الاجتماعي . ولكن فكرة الاتحاد قديمة وسنمرض لها في الجزء الأخير من هذا البحث ونبرهن أنها أخطر بكثير مما تتصور ، وأنها ضربة موجبة لاستقلال الشعوب وحريتها ومستقبلها ، وأنها أخطر طعنة يوجهها الاستثمار الأوروبي في أفريقيا موطن الشعوب المظلومة

أحمد رمزي

وزارة المعارف

تعلن أنه قد تخلو بها أماكن لدرسين للاشغال اليدوية بالمدارس الابتدائية والمدارس الريفية ، وبشروط في راغبي التعمين بالمدارس الابتدائية الحصول على دبلوم الفنون التطبيقية وسيفضل من سبق لهم الاشغال بالتدريس - كما يشترط في راغبي التعمين بالمدارس الريفية أن يكونوا من الحاصلين على شهادة الدراسة الابتدائية ودبلوم الأقسام الصناعية أو الخمس سنوات (حديث) من قسمي النجارة والنجيع

فعلى راغبي التعمين تقديم طلباتهم إلى مكتب حضرة عميد مفتشي الأشغال اليدوية بالوزارة منذ الآن حتى يوم ١٦ أغسطس سنة ١٩٤٧ ولا تقبل طلبات بعد ذلك وتعتبر جميع الطلبات التي قدمت قبل الآن لاغية .

٧٢٨٤

أفريقيا أملاً في الخروج إلى السلم بالسيادة على البحر وحدود المستعمرات كما كانت قبل الحرب : بل كانوا يجاهدون بأنه إذا لم الأمر أن يقبلوا التضحية عند إقرار السلم مع ألمانيا فلتسكن التضحية من الأراضي الأوروبية إذا ضمنوا المحافظة على وحدة أملاكهم الأفريقية التي هي المدى الحيوي التاريخي للشعب الفرنسي .

ومن التريب أن هذا الأمل الألماني وهذا المنطق الفرنسي ترك شمال أفريقيا في حالة سهلت للحلفاء احتلالها واتخاذها بمرافئها لجمع قواتهم التي زحفت إلى قلب أوروبا ، فكان أن ساهمت الأبراطورية الفرنسية في تحرير أوروبا بل في تحرير العالم ولكن كبقعة منسمة من الأرض استعملت كسرح للحوادث والمبارك ليس إلا ...

الحلفاء يسيطرون على أملاك فرنسا ثم يعيدونها اليها :

تمزق السور الفولاذي لأول مرة عند دخول الحلفاء وقواتهم أراضي شمال أفريقيا ، فرأى أهل مراکش وتونس والجزائر جنوداً من عناصر أخرى غير فرنسية ، ولا يد أنهم لمسوا وعانوا أشياء جديدة ، ولكن البلاد التي خضعت لسنوات عديدة لأعمال العنف والتشريد كانت تتمخض بانتماءات جديد ووثبة شاملة ، ولم تكن حلة الحلفاء لتخلق هذا الوعي القائم لولا أن لهذه الشعوب من الشخصية والتاريخ ما يجعلها تحس وتشم بالرسالة التي تحملها للعالم . وجاءت حلة الحلفاء لهذه الأرض بأساطين العالم وكانت مقر مؤتمرات : وعرف الناس جميعاً أن أراضي تونس والجزائر ومراكش كانت ودية في يد الحلفاء وقد أعيدت لفرنسا بعد أن تهدد رجالها روزفلت أن تسير هذه البقاع في ركب الحضارة نحو الحرية وتقرير المصير كغيرها من بقاع الدنيا التي يسكنها الإنسان لا الحيوان .

أعود إلى الوراء ؟ أم عصر جديد ؟ هذه كلمة الأستاذ إسماعيل مظهر نحينا عرض إلى مشروع الاتحاد الفرنسي ونحن نتفق معه في صيغته ونقول :

إن الخطر الذي يبدو لنا هو أن توفن فرنسا في إقناع العالم